المركز العربي للأبحاث و دراسة السياسات
Arab Center for Research & Policy Studies

تحليل سياسات

سياسة إدارة أوباما الخارجية: محاولة تحقيق التوازن بين الميول الانعزالية وضغوط التدخّل الخارجي

أسامة أبو ارشيد | يونيو 2014

سياسة إدارة أوباما الخارجية: محاولة تحقيق التوازن بين الميول الانعزالية وضغوط التدخّل الخارجي

سلسلة: تحليل سياسات

أسامة ابورشيد | يونيو 2014

جميع الحقوق محفوظة للمركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات © 2014

المركز العربيّ للأبحاث ودراسة السّياسات مؤسّسة بحثيّة عربيّة للعلوم الاجتماعيّة والعلوم الاجتماعيّة التطبيقيّة والتّاريخ الإقليميّ والقضايا الجيوستراتيجية. وإضافة إلى كونه مركز أبحاثٍ فهو يولي اهتمامًا لدراسة السّياسات ونقدها وتقديم البدائل، سواء كانت سياسات عربيّة أو سياسات دوليّة تجاه المنطقة العربيّة، وسواء كانت سياسات حكوميّة، أو سياسات مؤسّسات وأحزاب وهيئات.

يعالج المركز قضايا المجتمعات والدول العربيّة بأدوات العلوم الاجتماعيّة والاقتصاديّة والتاريخيّة، وبمقاربات ومنهجيّات تكامليّة عابرة للتّخصصات. وينطلق من افتراض وجود أمن قوميّ وإنسانيّ عربيّ، ومن وجود سماتٍ ومصالح مشتركة، وإمكانيّة تطوير اقتصاد عربيّ، ويعمل على صوغ هذه الخطط وتحقيقها، كما يطرحها كبرامجَ وخططٍ من خلال عمله البحثيّ ومجمل إنتاجه.

المركز العربيّ للأبحاث ودراسة السّياسات
شارع رقم: 826 – منطقة 66
الدفنة
ص. ب: 10277
الدّوحة، قطر
هاتف: 44199777 974+ | فاكس: 44831651 974+
www.dohainstitute.org

المحتويات

مقدمة 1

معضلة أوباما 2

أوباما: القيادة العالمية الأميركية من الثوابت... ولكن كيف؟ 3

ناقدو مقاربة أوباما: التردّد وإظهار الإعياء يضعف الزعامة الأميركية 5

تفكيك "مبدأ أوباما" 7

خلاصة 13

مقدمة

ألقى الرئيس الأميركي باراك أوباما خطابًا يوم 28 أيار / مايو 2014، في أكاديمية ويست بوينت *WEST POINT* العسكرية في نيويورك، حاول من خلاله إعادة تعريف سياسة بلاده الخارجية بعد أكثر من عقدٍ من الحروب التي استنزفتها؛ وذلك عبر طرح رؤيةٍ شاملة لما ستكون عليه هذه السياسة في العامين والنصف المقبلين؛ أي خلال ما تبقّى من عمر إدارته الثانية زمانيًّا.

ولعلّ ما يعطي الخطاب أهميةً خاصة في هذا السياق هو الإطار الموضوعي الذي جاء فيه، والذي تحوم حوله انتقادات متزايدة وقاسية للسياسة الخارجية الأميركية تحت إدارة أوباما الثانية؛ فناقدو الإدارة الداخليون يتّهمونها باتّباع سياسات انكفائية وانعزالية، كما يتّهمونها بإضعاف الولايات المتحدة وموقعها على الساحة الدولية وإفقادها الهيبة والزعامة القيادية[1]، في حين يتزايد قلق الحلفاء من سياسات هذه الإدارة في السياسة الخارجية، والتي أدّت إلى اهتزاز ثقتهم بها وتراجع تعويلهم على قيادتها؛ فمن سورية إلى أوكرانيا، ومن نيجيريا إلى النزاع في بحر الصين الجنوبي، تبدو إدارة أوباما مرهَقة وعاجزة عن اتّخاذ مواقفَ حاسمة تطمْئن حلفاءَها القلقين، أو هكذا يبدو لهم، مخطئين، بحسب منطق الرئيس أوباما. أضف إلى ذلك أنّ هذا الخطاب جاء بعد يومٍ واحد من إعلان أوباما خطة إدارته لسحب الجزء الأكبر من القوّات الأميركية من أفغانستان أواخر العام الجاري، مع إبقاء قوّة صغيرة قوامها 9800 جندي، سيكون دورها استشاريًّا إلى حدٍّ كبير، وستقوم بتدريب الجنود الأفغان والمساعدة في توجيه المهامّ لهزيمة تنظيم القاعدة[2]. وسيكون أيّ وجود

---

[1] Julie Pace & Jim Kuhnhenn, "Obama seeks ground between intervention, isolation", the Associated Press, *ABC News*, 28/5/2014, at:
http://www.abcnews4.com/story/25626318/obama-seeks-ground-between-intervention-isolation

[2] "Obama announces plan to keep 9,800 US troops in Afghanistan after 2014", *FoxNews.com*, 27/5/2014, at:
http://www.foxnews.com/politics/2014/05/27/obama-plans-to-keep-800-us-troops-in-afghanistan-after-2014-official-says/; Steve Holland, "Obama plans to end U.S. troop presence in Afghanistan by 2016", *Reuters*, 27/5/2014, at:

عسكري أميركي بعد عام 2014 مشروطًا بأن توقّع الحكومة الأفغانية اتّفاقًا أمنيًّا ثنائيًّا مع الولايات المتحدة. وبحسب هذه الخطّة، ستنسحب القوّات الأميركية نهائيًّا من أفغانستان أواخر عام 2016؛ أي مع نهاية رئاسة أوباما، الأمر الذي أثار انتقادات خصومه الحادّة لأنّه يضع تواريخَ تعسفية، لعواملَ سياسية وليست إستراتيجية، ما يعطي إشارة ضعف، وهو أيضًا أحد أوجه تراجع القوّة الأميركية تحت قيادة أوباما[3].

معضلة أوباما

إذا أردنا أن نلخّص جوهر خطاب ويست بوينت وفلسفته، بإمكاننا القول إنّ أوباما حاول أن يقدّم فيه مرافعةً دفاعية عن سياسات إدارته الخارجية التي تتميّز بتقليص جرعات العسكرة في السياسة الخارجية الأميركية، والتي رافقت فترتَي رئاسة سلفه جورج بوش (2001–2009). فضلًا عن أنّه حاول الموازنة بين دعاة الانعزالية والنأي بالنفس عن المشاكل العالمية وتركيز الجهود على الشؤون الداخلية، والأصوات الجامحة المطالبة بالتدخّل في كلّ شأنٍ دولي وتوظيف القوة العسكرية الأميركية التي لا مثيلَ لها عالميًّا في ذلك. سعى أوباما إلى توخّي مسارٍ ثالث وسيط بين الخيارين، بما يضمن ترسيخ القيادة الأميركية عالميًّا دون توريطها. ولكن هل نجح في ذلك؟

تتمثّل معضلة أوباما بأنّ الرأي العام الأميركي المرهق بمجمله من حربَي أفغانستان والعراق و"الحرب على الإرهاب"، معارضٌ أيّ مغامرات عسكرية جديدة بعد أكثر من 13 عامًا من الحروب؛ وهو الأمر الذي يشاركه فيه أوباما، بل يدين جزئيًّا لهذا الإرهاق الشعبي من الحروب، في وصوله إلى سدّة الرئاسة، غير أنّ أحدث استطلاعات الرأي تشير إلى أنّ 36% فقط يؤيّدون سياسته الخارجية مقابل 49% يعارضونها[4]. وهناك مفارقة أخرى تتمثّل بأنّ أحد المسوغات التي يسوقها أوباما لتخفيف الاعتماد على القوّة العسكرية الأميركية الأحادية في السياسة الخارجية كونها تؤثّر سلبيًّا في صورة الولايات المتحدة أمام الرأي العام

---

http://www.reuters.com/article/2014/05/27/us-usa-afghanistan-obama-idUSKBN0E71WQ20140527

[3] "Obama announces plan to keep 9,800 US …", Ibid.

[4] Sarah Dutton, Jennifer De Pinto, Anthony Salvanto & Fred Backus, "Americans disapprove of Obama's handling of Ukraine crisis", *CBS News*, 25/3/2014, at: http://www.cbsnews.com/news/americans-disapprove-of-obamas-handling-of-ukraine-crisis/

العالمي[5]، والأصل أنّ الرأي العام الأميركي يؤيّده في ذلك ويؤيّد منطقه بالعمل عبر الأطر والتحالفات الدولية. هذا ما كانت عليه الحال على الأقلّ، بعد أشهرٍ من انتخابه، أواخر عام 2008 رئيسًا معارضًا الحروب المستمرة بلا نهاية؛ ففي عام 2009، كانت نسبة من يرى من الأميركيين أنّ صورة الولايات المتحدة تحسّنت عالميًّا بعد انتخاب أوباما تبلغ 60%، ولكن انخفضت هذه النسبة إلى 32%، مقابل 43% يرون أنّ صورة الولايات المتحدة عالميًّا أصبحت اليوم أسوأ تحت حكم أوباما[6]. وهذا ما ضاعف الضغوط على أوباما لمحاولة توضيح سياسته الخارجية؛ فمشكلته الآن ليست مع خصوم إدارته وناقديه فقط، بل مع الرأي العامّ الأميركي نفسه الذي يُفترض أنّه حمله إلى الرئاسة مرشّحًا معارضًا الحرب.

ليست محدّدات السياسة الخارجية الأميركية كما طرحها أوباما في خطابه الأخير جديدة، عدَا وضعها في إطار فلسفي شامل، وتقديمها حزمةً واحدة للرأي العام الأميركي؛ فما جاء في الخطاب عمليًّا من أسسٍ ومسوغات تشكّل "مبدأ أوباما"، سبق له أن طرحها إمّا منفصلةً، أو طرح بعضها مجتمعةً – دون نسقٍ فلسفي متكامل – غير مرة في خطابات سابقة له، وآخرها كان أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة في أيلول / سبتمبر 2013.

أوباما: القيادة العالمية الأميركية من الثوابت... ولكن كيف؟

من خلال خطابه هذا حاول أوباما الردّ على منتقديه الذين يصمون سياساته الخارجية بالضعف والتردّد والفشل، والانسحاب المبرمج من العالم (الانعزالية)، كما في سورية وأوكرانيا، بالتأكيد على أنّ الولايات المتحدة هي القوّة الوحيدة القادرة على القيادة دوليًّا. ولكن، لا يعني هذا أن يجري التعبير عن ذلك بالقوّة العسكرية المنفلتة من عقالها، إلا إذا تعلّق الأمر بالمصالح الأميركية الأساسية والحيويّة[7].

وفقًا لمنطق أوباما في خطابه أمام ويست بوينت، لم تكن أميركا "أقوى" نسبةً إلى بقية العالم إلّا "نادرًا". ومن يقول خلاف ذلك – من يوحي بأنّ أميركا في تراجع، أو أنّ قيادتها العالمية تفلت منها – إمّا لأنّه يقرأ التاريخ بطريقة خاطئة، وإمّا لأنّه ينطلق من مواقفَ حزبية ضيّقة". من هنا يقوم منطق أوباما على أنّ القوّة

---

[5] "Remarks by the President at the United States Military Academy Commencement Ceremony", *The White House*, Office of the Press Secretary, 28/5/2014, at: http://www.whitehouse.gov/the-press-office/2014/05/28/remarks-president-united-states-military-academy-commencement-ceremony

[6] Dutton…, "Americans disapprove of Obama's …". Ibid.

[7] "Remarks by the President at the United States Military…", Ibid.

العسكرية الأميركية لا تضاهيها قوّة أخرى في عالم اليوم، ولكن لا يعني هذا توظيفها دون رؤيةٍ واضحة ترهق كاهل الولايات المتحدة وحدها، كما أنّها ليست هي المحدّد الوحيد للقوّة والقيادة دوليًّا، بل ثمّة أدوات وعناصر أخرى تحدّد مفهوم القيادة الأميركية وترسّخه في عالم اليوم؛ فتهديدات أيّ دولة أخرى اليوم ضدّ الولايات المتحدة ضئيلة جدًّا، ولا تقارَن بما واجهته خلال الحرب الباردة. فضلًا عن أنّ الساحة الدولية تغيّرت اليوم عمّا كانت عليه عندما تبوّأ أوباما سدّة الرئاسة؛ إذ جرى سحب القوّات الأميركية في العراق أواخر عام 2011، وجرى تدمير قيادة القاعدة المتحصّنة في المنطقة الحدودية ما بين أفغانستان والعراق، وجرت تصفية أسامة بن لادن في منتصف عام 2011. وبسبب تغيّر معطيات البيئة الدولية في عالم اليوم، تغيّرت مصادر الخطر هي الأخرى؛ إذ يرى أوباما أنّ مصادر الخطر تكمن في العولمة والتقدّم التكنولوجي الهائل الذي أتاح إمكانياتٍ لأفراد، كانت في الماضي حكرًا على دول، الأمر الذي عزّز "قدرات الإرهاب". كما أنّ تصاعد القوّتين الروسيّة والصينية، وسياساتهما المستفزّة لجيرانهما، يفرض تحدّياتٍ من نوعٍ آخر على الولايات المتحدة وحلفائها والنظام الدولي برمّته. ولكن، ينبغي التعامل مع هذه التحدّيات من خلال المنظومة الدولية بقيادةٍ أميركية، لعزل أيّ مخالفٍ للقانون الدولي ومعاقبته. أضف إلى ذلك أنّ تنامي الطبقات الوسطى في بعض الدول النامية يضغط على الطبقة الوسطى الأميركية، ويدفع تلك الدول إلى المطالبة بصوتٍ أكثر تأثيرًا في القضايا الدولية، في حين يساهم تطوّر وسائل الإعلام والتواصل الاجتماعي في تسليط الضوء على مناطق التوتّر العالمية، والدول الفاشلة التي لا يمكن تجاهل أوضاعها وتأثيراتها في الأمن والازدهار الدوليَّين.

وبناءً عليه، وبحسب منطق أوباما، ومع تغيّر مصادر التحدّيات والتهديدات الدولية وطبيعتها، من الضروري أن تتغيّر مصادر القوة الأميركية وتتنوّع، وذلك إن أرادت أميركا الحفاظ على موقعها القيادي على الصعيد الدولي؛ بمعنى ألا تتورّط في حروبٍ جديدة غير محدّدة الأهداف وَمُعَرَّفَة المعالم، بما يعني مزيدًا من الاستنزاف الأميركي على شاكلة ما ترتّب على حربَي أفغانستان والعراق. وهكذا، تصبح القوّة العسكرية الأميركية مصدرًا من مصادر القوّة، ولكنّها ليست الوحيدة. ولهذا، وبحسب منطق أوباما، فقد استثمرت الولايات المتحدة أكثر في إعادة بناء اقتصادها الذي "يبقى أقوى اقتصاد على الأرض"، وقطاع الأعمال فيها هو الأكثر ابتكارًا. وتسير الولايات المتحدة اليوم بخطًى ثابتة نحو الاكتفاء الذاتي من الطاقة. وأميركا اليوم هي قطب رحى التحالفات الدولية، وتبقى قبلة المهاجرين الباحثين عن فرصٍ أفضل؛ فـ"الولايات المتحدة هي الدولة التي لا غنى عنها. كانت هذه حالها في القرن الماضي، وفي الغالب ستكون حالها في القرن

الحالي". ويخلص أوباما من ذلك العرض كلّه، إلى أنّ التحدّي الذي يُطرح هو "ليس إذا ما كانت أميركا ستقود، ولكن كيف ستقود، وليس لتأمين الأمن والرخاء لأنفسنا فقط، بل لتوسيع نطاق السلام والرخاء لبقية العالم أيضًا"[8].

وانطلاقًا من هذه البيئة الدولية المستجدّة، إضافةً إلى معطيات الإرهاق الأميركي المترتّبة على أكثر من عقدٍ من الحروب، لا يغدو المطلوب من واشنطن، بحسب هذه الرؤية، استخدام القوّة العسكرية دون ضرورةٍ قصوى وضمن إطار المصالح الأميركية المباشرة، بقدر ما يتطلّب ذلك بذل جهودٍ مستدامة لتوثيق عرى التحالف مع الحلفاء، وعزل الأعداء، ودعم الأسواق الحرة والقيم الديمقراطية؛ فالمطلوب هنا هو شراكة دولية تقودها الولايات المتحدة تتقاسم الأعباء والتكاليف الإنسانية والاقتصادية، وتقوم على شبكةٍ من التحالفات في أوروبا وآسيا وأفريقيا، وتعمل مع المؤسسات والمنظمات الدولية؛ كالأمم المتحدة، وصندوق النقد الدولي، "وعزل الخصوم وتعزيز النظام العالمي الذي أثبت أنّه مفيد جدًّا للولايات المتحدة والعالم منذ عام 1945"9. وهكذا تصبح الدبلوماسية وبناء التحالفات الدولية والعقوبات الاقتصادية، أدوات التعبير عن القيادة الأميركية تحت إدارة أوباما. أمّا اللجوء إلى القوّة العسكرية، فقد حصرته إدارة أوباما إلى الآن في استخدام الطائرات دون طيّار في حربها على ما تصفه واشنطن بـ"الإرهاب"، كما في اليمن وباكستان[10].

ناقدو مقاربة أوباما: التردّد وإظهار الإعياء يضعف الزعامة الأميركية

بدا هذا التأطير والتسويغ لموضوعة القيادة الأميركية في عالم اليوم، غير مقنعيْن خصوم الإدارة وناقديها، كما أنّهما لا يهدّئان من قلق حلفاء واشنطن الذين يرون ما يعدّونه علامات إعياء بادية على تحرّكاتها الدولية ودورها القيادي11؛ فناقدو مقاربة إدارة أوباما للسياسة الخارجية، وإن أقرّوا له بأنّ العقوبات الاقتصادية

---

[8] Ibid.

[9] Fareed Zakaria, "Obama's leadership is right for today", *The Washington Post*, 30/5/2014, at: http://goo.gl/H23lrl

[10] Peter Bergen, "Drone is Obama's weapon of choice", *CNN.com*, 19/9/2012, at: http://www.cnn.com/2012/09/05/opinion/bergen-obama-drone/

[11] Editorial Board, "At West Point, President Obama binds America's hands on foreign affairs", *The Washington Post*, 28/5/2014, at: http://goo.gl/YfVq9Y.

والدبلوماسية وبناء التحالفات الدولية والإقليمية والتلويح باستخدام القوّة العسكرية، نجحت مثلًا في إرغام إيران على الجلوس إلى طاولة المفاوضات لمناقشة برنامجها النووي، والنظام السوري لتسليم ترسانته من الأسلحة الكيماوية، إلا أنّها فشلت في المقابل في منع روسيا من ضمّ إقليم القرم الأوكراني، أو تمدّد الصين في بحر الصين الجنوبي، أو حتّى وقف حمّام الدم في سورية[12].

وبحسب هؤلاء، فإنّ التحدّي الذي تبديه تلك الأطراف للقيادة الأميركية الدولية، دليل على تبدّد الزعامة الأميركية عالميًّا وفقدان الحلفاء القلقين ثقتهم بهذه الزعامة المتردّدة13؛ إذ تعطي إدارة أوباما انطباعًا، بحسب اتّهام هؤلاء، بأنّ الولايات المتحدة مرهقة من الحروب، الأمر الذي يجعل تلك القوى تجرؤ على الاستمرار في سياساتها المستفزّة دون خوفٍ من ردّة فعلٍ أميركية ذات معنى. ويضيف هؤلاء، إنّ إدارة أوباما فشلت حتى في التعبير عن الزعامة الأميركية في علاقاتها مع حلفائها، كما فشلت في إبرام اتّفاق تجارة مع اليابان في نيسان / أبريل الماضي14، وعجزت عن منع انهيار مفاوضات التسوية في الشرق الأوسط أواخر نيسان / أبريل الماضي أيضًا؛ وذلك على الرغم من إشراف وزير الخارجية جون كيري الشخصي والمباشر عليها. لكن السؤال الذي يثار هنا هو: ما هو بديل ناقدي مقاربة أوباما للسياسة الخارجية؟ هل يكون باستخدام القوّة العسكرية دون تردّد ودون وقوف على التداعيات؟

عمليًّا، هذا ما حاول أوباما أن يصم به بعض خصومه ناقدي مقاربته الخارجية، قائلًا: "الكلام الصارم غالبًا ما يحتلّ عناوين الأخبار، لكن نادرًا ما تتطابق الحرب مع الشعارات"15. ويضيف: "امتلاكنا أفضل مطرقة (القوّة العسكرية)، لا يعني أنّ كلّ مشكلة هي مسمار"16. غير أنّ ناقديه ينكرون ذلك، ويتّهمونه بتشويه حقيقة طرحهم؛ فبحسب أولئك لا أحدَ يطالب باستخدام القوّة العسكرية في كلّ مشكلة، كما في أوكرانيا مثلًا، ولكنّهم يطالبون بمواقفَ وسياسات أميركية أقوى تتوافق مع زعامتها العالمية؛ إذ ينتقد هؤلاء مثلًا رفض إدارة أوباما الاستجابة لطلبات الحكومة الأوكرانية بتسليح قوّاتها لمواجهة الجيش الروسي، كما يشيرون إلى تحديد

---

[12] Ibid.

[13] Charles Krauthammer, "Obama's foreign policy of denial", *The Washington Post*, 1/5/2014, at: http://goo.gl/aaQUJb.

[14] Ibid.

[15] "Remarks by the President at the United States Military…", Ibid.

[16] Ibid.

موعد انسحاب "تعسّفي" من أفغانستان، وعدم تسليح الثوّار السوريين "المعتدلين"، ما أضعف موقفهم أمام قوّات النظام والفصائل القريبة من القاعدة[17].

سعى أوباما عبر خطابه إلى أن يموضع نفسه، ما بين مقاربتين نقيضتين للسياسة الخارجية الأميركية: المقاربة الانعزالية، والمقاربة المفرطة في التدخّل والاعتماد على القوّة العسكرية وحدها في كلّ مشكلة، وفي المقابل يرفض ناقدوه ذلك أيضًا، متّهمين إيّاه بمحاولة "تصوير نفسه على أنّه صوت العقل بين موقفين متطرّفَين"[18]. تقودنا هذه النقطة الأخيرة إلى المبدأ الذي صاغه أوباما لتوجيه السياسة الخارجية الأميركية في ما تبقّى له من وقتٍ في البيت الأبيض.

تفكيك "مبدأ أوباما"

يقدّم أوباما العناصر الأربعة المشكّلة لمبدئه في السياسة الخارجية، والكفيلة بتحقيق القيادة الأميركية عالميًّا، وفقًا لوجهة نظره، والقائمة بالدرجة الأولى على تقليص الاعتماد على القوّة العسكرية المنفردة، إلا إذا تعلّق الأمر بـ"المصالح الأساسية" للولايات المتحدة، مع تأكيده على أدوات القوّة الأخرى؛ من اقتصادٍ، وتحالفات، ودبلوماسية، على الرغم من أنّ ذلك يُحدث قطيعة مع سياسات سلفه – لا تتعلّق القطيعة في هذا السياق بضرورة بقاء الولايات المتحدة القوّة العالمية المهيمنة، بل بكيفية ممارسة هذه القوّة – إذ يميل أوباما إلى ممارسة ضبطٍ أكبرَ للنفس وتوظيف أدوات القوّة الأميركية الأخرى أوّلًا قبل التفكير في استخدام القوّة العسكرية الأميركية، في حين أنّ بوش كان يميل أكثر إلى استخدام القوّة أوّلًا. وتتمثّل العناصر الأربعة لـ"مبدأ أوباما" في السياسة الخارجية، كما فصّلها هو نفسه في خطابه الأخير في أكاديمية ويست بوينت، بما يلي:

أوّلًا، "ستستخدم الولايات المتحدة القوّة العسكرية، أحاديًّا إن دعت الضرورة لذلك، وفي حال تطلّبت مصالحنا الأساسية ذلك، عندما يكون هناك خطر محدق بشعبنا، وعندما يهدّد اقتصادنا، أو عندما يكون أمننا وأمن حلفائنا في خطر"[19]. يستعير أوباما في قوله هذا المبدأ ذاته الذي رسّخه في خطابه في أيلول / سبتمبر

---

[17] Editorial Board, "At West Point…", Ibid.

[18] Jake Miller, "Mission not accomplished? Obama speech fails to quiet critics", *CBS **NEWS***, 29/5/2014, at:
http://www.cbsnews.com/news/mission-not-accomplished-obama-speech-fails-to-quiet-critics/

[19] "Remarks by the President at the United…", Ibid.

الماضي أمام الجمعية العمومية في الأمم المتحدة20، غير أنّه يضيف إليه جملةً من المعايير التي يسعى من خلالها إلى أن يلجم أيّ مغامرات عسكرية مكلفة، على غرار سياسة إدارة سلفه جورج بوش، بقوله: "في مثل هذه الظروف، فإنّه ينبغي لنا أن نسأل أسئلةً صعبة، بشأن إذا ما كانت ردّة فعلنا متلائمة، وفعّالة، وعادلة. الرأي العالمي مهمّ. لكن أميركا لن تطلب الإذن لحماية شعبنا، ووطننا، وطريقة حياتنا"[21].

وكما بدا في المحدّدات التي طرحها في خطابه في الأمم المتحدة في أيلول / سبتمبر الماضي، يميّز أوباما بين استخدام القوّة العسكرية عندما يتعلّق الأمر بـ"المصالح الأساسية"، واستخدام هذه القوّة في حال ظهور أخطار على الساحة الدولية، ولكنّها لا تهدّد الولايات المتحدة مباشرةً؛ ففي مثل هذه الحالات بحسب أوباما، إنّ "معيار استخدام القوّة العسكرية ينبغي أن يكون أعلى"[22]. ولا يتردّد أوباما في التلميح هنا، كما في خطابه العام الماضي في الأمم المتحدة، إلى أنّ الجرائم ضدّ الإنسانية، كتلك التي تقع في سورية اليوم، تندرج ضمن هذا السياق. وعليه، يقدّم أوباما بديلًا لاستخدام القوّة يتمثّل بأنّه "لا ينبغي أن نذهب وحدنا. بل ينبغي أن نعبّئ حلفاءنا وشركاءَنا لاتّخاذ إجراءٍ مشترك. ينبغي لنا توسيع أدواتنا لتشمل الدبلوماسية والتنمية؛ العقوبات والعزلة؛ والإحالة إلى القانون الدولي، والعمل العسكري المتعدّد الأطراف إذا كان ضروريًّا وفعّالًا. علينا أن نفعل ذلك؛ لأنّ احتمالات نجاح العمل الجماعي في مثل هذه الظروف أكبر، وأقدر على الاستمرار، واحتمالات وقوع الأخطاء المكلفة أقلّ"[23].

من خلال قوله الأخير، يحاول أوباما إيجاد توازنٍ بين الحفاظ على المصالح الأميركية الأساسية، ولو اضطرّ إلى استخدام القوّة العسكرية، وضبط النفس وعدم التورّط في سياسات تتبع الشعارات العاطفية وغير المنطقية، بعيدًا عن حسابات الواقع وتعقيداته؛ فأوباما يريد أن يبتعد قدر الإمكان، كما يشير في خطابه، عن المغامرات العسكرية غير المحسوبة، كما في العراق، والتي كلفت الولايات المتحدة غاليًا، بشريًّا

[20] "Remarks by President Obama in Address to the United Nations General Assembly", The White House, Office of the Press Secretary. September. 24, 2013, at: http://goo.gl/eiv2fN.

[21] "Remarks by the President at the United…", Ibid.

[22] Ibid.

[23] Ibid.

واقتصاديًّا، دون أن تكون مرتبطة مباشرةً بمصالح أميركا الأساسية[24].

ثانيًا، وفقًا لمقاربة أوباما، فإنّ أكبر تهديد مباشر يحدق بالولايات المتحدة داخليًّا وخارجيًّا، في المستقبل المنظور يتمثّل بالإرهاب، "ولكن الإستراتيجية التي تنطوي على غزو كلّ دولة تؤوي شبكات إرهابية، هي إستراتيجية ساذجة وغير قابلة للاستمرار"[25]. لا يصدر التهديد في عالم اليوم من قيادة موحّدة لتنظيم "القاعدة" وفقًا لمنطق أوباما، بقدر ما يتأتّى من تنظيمات متحالفة معه أو تنظيمات متطرفة، تركّز أكثر على الدول التي تعمل فيها. وعليه، فإنّ إمكانية وقوع هجمات كبيرة على الولايات المتحدة مشابهة لهجمات الحادي عشر من أيلول / سبتمبر 2001 تراجعت لفائدة هجمات على المصالح الأميركية والأفراد الأميركيين في الخارج، كما حدث في بنغازي/ليبيا في أيلول / سبتمبر 2011. ولكن إذا لم تكن القوّة العسكرية الأميركية هي المكلّفة بالضرورة بالردّ على مثل هذه التهديدات، فكيف سيكون الردّ إذَن؟

يقدّم أوباما المقترح العملي الوحيد في خطابه ليحدّد ملامح مبدأ سياسته الخارجية؛ فإضافةً إلى اعتماده على العمليات الخاصّة، كما في تصفية بن لادن في باكستان، وعلى الهجمات بطائرات دون طيّار، كما يجري في اليمن وباكستان، ستركّز إدارته على تقديم المشورة، وتدريب قوات الجيش والأمن في الدول محلّ الاهتمام، كما يجري في أفغانستان اليوم، والتي يستعدّ جلُّ القوات الأميركية إلى مغادرتها أواخر العام الجاري، مع الإبقاء على قوّة صغيرة تقوم بمهامّ التوجيه والتدريب حتّى أواخر عام 2016. ويقترح أوباما تشكيل شبكة تحالفات دولية من آسيا إلى أفريقيا لبناء شراكات لمواجهة "الإرهاب". وأعلن عن اقتراحٍ بقيمة خمسة مليارات دولار لإنشاء "صندوق شراكة" لمساعدة الدول في محاربة الإرهاب على أراضيها. وقال البيت الأبيض إنّ أوباما سيعمل مع الكونغرس لتدبير الأموال اللازمة للبرنامج في الميزانية الاتحادية المتقشّفة. وستُنفق الأموال في تدريب دولٍ أخرى على محاربة "التطرّف العنيف والفكر الإرهابي"، وتجهيزها[26].
والملاحظ في هذا السياق، أنّ أوباما يدرج الصراع في سورية ضمن هذا البند، بند مكافحة الإرهاب؛ فهو يقول من ناحية إنّه لن يرسل قوّاتٍ إلى ذلك البلد لوقف نزيف الدماء فيه، ومن ناحيةٍ أخرى يحيل إلى العنصر الأوّل من إستراتيجيته، والقائل إنّ الصراع في سورية، وعلى الرغم من كلفته الإنسانية الباهظة لا يمثّل مصلحةً أميركية أساسية للتدخّل فيه. وعليه، ليس ثمّة ما يبرّر توريط الجيش الأميركي في "حرب

---

[24] Peter Bergen, "Obama says goodbye to American hubris", *CNN.com*, 28/5/2014, at: http://www.cnn.com/2014/05/28/opinion/bergen-obama-doctrine-smart-power/

[25] "Remarks by the President at the United…", Ibid.

[26] ستيف هولاند، "أوباما يهاجم منتقدي سياسته الخارجية ويتعهد بمساعدة المعارضة السورية"، **رويترز**، 2014/5/28، على الرابط: http://ara.reuters.com/article/topNews/idARAKBN0E81L220140528

أهلية"، ذلك أنّه لا يوجد حلّ عسكري يمكنه إزالة المعاناة الرهيبة في أيّ وقتٍ قريب[27]. ما يهمّ أوباما هو دعم المعارضة السورية "المعتدلة" لتمكينها من التصدّي لقوّات الرئيس السوري بشار الأسد، في الوقت ذاته الذي ينبغي فيه التصدّي "للإرهابيين" في سورية، ومنع تمدّد تأثيرهم إلى الدول المجاورة في تركيا ولبنان والأردن، التي تستضيف لاجئين سوريّين[28].

تبرز لنا مفارقة جليّة في هذا السياق؛ فأوباما لا يوضح المعيار الذي على أساسه قرّر أنّ مشاركة الولايات المتحدة في العمليات العسكرية الجوية وعبر الصواريخ الموجّهة ضدّ النظام الرئيس الليبي الراحل، معمر القذافي عام 2011، تدخل ضمن "المصالح الأساسية" للولايات المتحدة، ولم يحدّد أيضًا المعيار الذي على أساسه قرّر أنّ الوضع في سورية لا يدخل ضمن "المصالح الأساسية" التي لا تتطلّب تدخّلًا أو دعمًا عسكريًّا لقوّات المعارضة التي تقاتل "دكتاتورًا قتل أبناء شعبه"، بحسب وصف أوباما نفسه.

ومع أنّ إدارته حاولت أن تحلّ الصراع في سورية عبر بناء التحالفات الدولية والإقليمية، والتوجّه إلى الأمم المتحدة والعقوبات، ومحاولة إيجاد حلّ سياسي عبر مؤتمرَين في جنيف بين النظام السوري والمعارضة ("جنيف1" حزيران / يونيو 2012، و"جنيف2" شباط / فبراير 2014)، والتهديد باستخدام القوة ضدّ النظام السوري بعد اتّهامه باستخدام السلاح الكيماوي ضدّ أبناء شعبه في آب / أغسطس 2012[29]، باءت جهودها كلّها بالفشل، عدا ما يتعلق بتسليم نظام الأسد أسلحته الكيماوية لتجنّب ضربة عسكرية. وإلى اليوم، قتل أكثر من 160 ألف سوري، وشرّد الملايين، ودمّر البلد، ولا تزال إدارة أوباما تتكلّم عن حلٍّ سياسي ينبغي أن تدفع له الأطراف المتصارعة، دون أن توضح كيف يتحقّق ذلك. وهو الأمر الذي يثير كثيرًا من الشكوك حول مبدأ أوباما، إذا ما كان يستبطن فعلًا الاستخدام الحكيم للقوّة والزعامة الأميركيتين، أم أنّ الأمر مرتبط بانسحاب أميركي من العالم وقضاياه.

ثالثًا، إذا كان أوباما يؤكّد ضرورة ضبط النفس والتروّي عند بروز الحاجة إلى استخدام القوّة الأميركية، فإنّه يقدّم بديلًا لاستخدام القوة الأميركية منفردة، يتمثّل بالتحرّك عبر المنظمات الدولية؛ كالأمم المتحدة، وصندوق

---

[27] المرجع نفسه.

[28] "Remarks by the President at the United States…", Ibid.

[29] "Remarks by the President to the White House Press Corps", *The White House*, Office of the Press Secretary, 20/8/2012, at:
http://www.whitehouse.gov/the-press-office/2012/08/20/remarks-president-white-house-press-corps

النقد الدولي، والبنك الدولي، أو عبر التحالفات العسكرية؛ كحلف شمال الأطلسي "الناتو"[30]، وذلك حتى تكون هناك شراكة في التكاليف[31]؛ إذ يقوم منطق إدارة أوباما على استخدامٍ أقلّ للقوّة في السياسة الخارجية، والسعي للحصول على شرعيةٍ ودعمٍ دوليَّين، فضلًا عن محاولة التفاوض مع الخصوم[32]؛ بمعنى آخر يؤكّد أوباما مجدّدًا على فاعلية الأدوات الأخرى التي تدخل في تعريف الزعامة الأميركية عالميًّا؛ كالدبلوماسية، والعقوبات الاقتصادية، وبناء التحالفات.

ويضرب أوباما بعض الأمثلة في هذا السياق للتأكيد على ما يعدّه نجاحًا لهذا المنطق؛ فيشير مثلًا إلى التحرّك الأميركي مع حلفائه ضدّ روسيا بعد اجتياحها إقليم القرم في أوكرانيا، ومساهمة ذلك في عزلها سياسيًّا، واقتصاديًّا؛ كتجميد عضويتها في "الثمانية الكبار". غير أنّ أوباما لا يشير مثلًا إلى أنّ ذلك التحرّك لم يمنع روسيا من ضمّ إقليم القرم عمليًّا إلى الاتحاد الفدرالي الروسي[33]. ويشير أوباما أيضًا إلى التحالف الدولي الذي قادته الولايات المتحدة لفرض عقوباتٍ اقتصادية مشدّدة على إيران ما دفعها للجلوس إلى طاولة المفاوضات لمناقشة برنامجها النووي. وهو لم يهمل أيضًا أنّ هذا لم يمنع إيران من دعم النظام السوري عسكريًّا وسياسيًّا واقتصاديًّا. وينطبق الأمر نفسه على حديثه عن تنامي القوّة العسكرية والاقتصادية الصينية الذي يقلق الحلفاء الأميركيين المطلّين على المحيط الهادئ في آسيا، فضلًا عن تمدّد الصين في بحر الصين الجنوبي ودخولها في نزاعات بحرية مع حلفاء أميركيين؛ كاليابان، وفيتنام، والفلبين. وعلى الرغم من أنّ الولايات المتحدة أعلنت غير مرّة دعمها مواقف حلفائها، وحذّرت الصين من التمدّد في مياههم الإقليمية، لم يمنع ذلك الصين من الاستمرار في فرض مزيد من السيطرة على المياه الدولية والإقليمية لتلك الدول[34].

في هذا الإطار، ثمّة مفارقة واضحة بين مبدأ في سياسة أوباما الخارجية، ومبدأ إدارة سلفه جورج بوش؛ فإدارة بوش كانت تؤكّد على حقّ الولايات المتحدة في التصرّف أو التحرّك الأحادي، سواء كان ذلك بغطاء شرعي قانوني أو بغيره، وذلك في حال رأت الولايات المتحدة أيّ تهديد حالي قائم أو مستقبلي لأمنها

---

[30] "Remarks by the President at the United States…", Ibid.

[31] Nicholas Kralev, "Iraq war defines foreign policy", *The Washington Times*, 15/1/2009, at: http://www.washingtontimes.com/news/2009/jan/15/iraq-war-defines-foreign-policy/?page=all

[32] Ibid.

[33] "At West Point, President Obama…", Ibid.

[34] Trefor Moss & Julian Barnes, "U.S. Making 'Important' Mistakes, Chinese General Says", *The Wall Street Journal*, 31/5/2014, at: http://online.wsj.com/articles/u-s-making-important-mistakes-chinese-general-says-1401526934

ومصالحها، أو استشعرته[35]. وفي المقابل، يؤكّد مبدأ أوباما على أولوية محاولة التحرّك أوّلًا عبر الأطر الدولية والتحالفات الإقليمية، مع ضرورة ملاحظة أنّ إرهاصات عودة الولايات المتحدة إلى منطق البحث عن مظلّة دولية وتشاركية لأيّ تحرّك مهمّ ومكلف، بدأت مع إدارة بوش الثانية (2005-2009)؛ أي قبل تولّي أوباما سدّة الرئاسة مطلع عام 2009، وهي مرتبطة بحجم الفشل الذريع والورطة الكبيرة التي ترتّبت على ذهاب إدارة بوش إلى حرب العراق دون وجود مظلّة قانونية، ودون قيام حلفٍ عسكري واسع؛ فالمنطق "الأحادي" الأميركي قاد إلى غزوٍ سهل نسبيًّا للعراق وإسقاط نظامه، غير أنّ مسألة الاحتلال أثبتت أنّ لها تعقيداتٍ من نوعٍ خاصّ لم تكن القوات الأميركية مهيَّأة أو مستعدّة لها، الأمر الذي دفع بإدارة بوش بعد أن استوعبت أنّها تغرق "في الوحل العراقي"[36]، إلى أن تعود إلى الأمم المتحدة - بعد شهرين من الغزو - لطلب العون الأممي في بلدٍ محت فيه بسياساتها كلّ مقوّمات الوحدة الوطنية والتماسك الشعبي والنظام القانوني[37].

رابعًا، العنصر الرابع والأخير لمبدأ أوباما الذي يجسّد الزعامة الأميركية عالميًّا، بحسب قوله، يتمثّل بما زعمه من "رغبتنا في الدفاع عن الكرامة الإنسانية. يتجاوز الدعم الأميركي للديمقراطية وحقوق الإنسان المثالية، إنّها قضية أمن قومي"[38].

وضمن هذا المعطى، ينتقد أوباما القمع والفساد والحكم الشمولي، ويشير إلى الاضطرابات في بعض الدول العربية، ويعدّها دليلًا على رفض الخضوع لحكومات شمولية. ويحاول أوباما أن ينسب كثيرًا من الفضل في

---

[35] A'ishah Waheed, "The US invasion of Iraq: failings and consequences", *E-International Relations Students*, 1/8/2011, at:
http://goo.gl/UAmjmz.

[36] صاحب توصيف "الوحل العراقي" هو ديك تشيني، نائب الرئيس الأميركي السابق، جورج بوش، وذلك في مقابلة أجراها عام 1994 ودافع فيها عن قرار إدارة بوش الأب بعدم اجتياح العراق في مطلع التسعينيات. وقد كشف عن تسجيل تلك المقابلة في شهر آب/أغسطس 2007، على الرابط:
http://goo.gl/YiEMYk.

[37] لمزيد من التفاصيل، انظر:
"UN Role in Iraq", *Global Policy Forum*, at:
https://www.globalpolicy.org/political-issues-in-iraq/un-role-in-iraq.html

[38] "Remarks by the President at the United States…", Ibid.

التقدّم في مجال الدمرقطة وحقوق الإنسان في العالم، إلى المساعي الأميركية؛ من دبلوماسية ومساعدات خارجية، وشراكات مع الحكومات والأفراد، و"تضحيات" الجيش الأميركي.

غير أنّ أوباما يبقى وفيًّا لما جاء في خطابه في الأمم المتحدة في أيلول / سبتمبر الماضي؛ فهذه القضايا وعلى الرغم من أهميتها للمصالح الأميركية وأمنها القومي، لا تعني أنّ المصالح والعلاقات الأميركية مرهونة بها فقط. وفي هذا السياق، يشير بوضوح إلى أنّ علاقات الولايات المتحدة بمصر التي شهدت انقلابًا عسكريًّا في مطلع تموز / يوليو الماضي على أوّل رئيس مدني في تاريخها، مرتكزة إلى المصالح الأمنيّة، من قبيل الحفاظ على السلام مع إسرائيل، وإلى الجهود المشتركة لمحاربة التطرّف العنيف. ولهذا، بحسب منطقه، لم تقطع الولايات المتحدة التعاون مع الحكومة الجديدة في مصر، وفي الوقت ذاته تواصل الضغط عليها لإنجاز الإصلاحات التي يطالب بها المصريّون.

يقول أوباما عمليًّا في السياق نفسه، إنّه سيعترف بالواقع في أيّ دولة، حتى وإن انتهكت حقوق الإنسان ما دامت تحافظ على المصالح الأميركية؛ فهو يتبنّى عمليًّا خطابًا براغماتيًّا لا أيديولوجيا، غير ذلك الذي يزعمه خطابيًّا في بعض الأحيان. ولا شكّ في أنّ في تأييد الولايات المتحدة الانقلاب الذي وقع في مصر، ومحافظتها على علاقات تحالفية مع بعض الدول التي تنتهك حقوق الإنسان، خصوصًا في المنطقة العربية، ما يؤكّد ذلك.

خلاصة

تتمثّل الرسالة الرئيسة التي أراد أوباما إيصالها من خلال هذا الخطاب، بأنّه ليس داعية عزلة وانكفاء ذاتي أميركي، كما يتّهمه خصومه، ولكنّه في المقابل، يرفض الإفراط في استخدام القوة العسكرية الأميركية. لكن الإشكال المطروح هو أنّ غالبية ناقدي إدارة أوباما من المحافظين واللبراليين، على حدٍّ سواء، لا يطالبون بتجريد حملات عسكرية في العالم، بقدر ما يطالبون أوباما بإعادة ملْء الفراغ الذي تركته سياساته المتراجعة عالميًّا، والتي ينظر لها الحلفاء الأميركيون عالميًّا بعينٍ من الريبة. وبناءً عليه، لم ينجح خطاب أوباما كثيرًا في تهدئة مخاوفهم وانتقاداتهم، وحتّى الصحيفتان اللبراليتان الأبرز في الولايات المتحدة، "واشنطن بوست" و"نيويورك تايمز"، انتقدتا خطابه وسياسته الخارجية؛ إذ اتّهمت "واشنطن بوست" سياساته الخارجية بأنّها هزّت ثقة الحلفاء بالزعامة الأميركية، في حين رأت "نيويورك تايمز" أنّ الخطاب لم يكن بحجم الجدل المثار

بخصوص سياسته الخارجية، وأنّه كان غيرَ ملهم، ولم يتضمّن إجاباتٍ كثيرة ملحّة لقضايا، مثل كيفية التعامل مع السياسات الروسية والصينية الشرسة[39]. ولكن، لا يُلامَ أوباما فحسب على الضعف المفترض للدور الأميركي عالميًّا؛ إذ إنّه ورث من سلفه الجمهوري جورج بوش، بلدًا منهكًا اقتصاديًّا وعسكريًّا ومعنويًّا، وتراجعت قدراته وإمكاناته على شنّ حروبٍ متواصلة دون دفع ثمنٍ باهظ جرّاء ذلك. وخلاصة القول إنّ أوباما في خطابه الثالث الأخير (2014/5/28) الذي ألقاه في أكاديمية ويست بوينت العسكرية، أكّد ما قاله في خطابين سابقين له في الأكاديمية ذاتها، بخصوص الحقيقة التي وجد عليها البلاد عندما تسلّم رئاستها[40].

[39] "At West Point, President Obama…", Ibid; The Editorial Board, "President Obama Misses a Chance on Foreign Affairs", *The New York Times*, 28/5/2014, at: http://goo.gl/lGrGra.

[40] See: "Remarks by the President in Address to the Nation on the Way Forward in Afghanistan and Pakistan", *The White House*, Office of the Press Secretary, 1/12/2009, at: http://goo.gl/7Ofa; "Remarks by the President at United States Military Academy at West Point Commencement", *The White House*, Office of the Press Secretary, 22/5/2010, at: http://goo.gl/oRCwCM.